مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٩) العدد (٥) ٢٠٢٥
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (9) No. (5) 2025

بلاغة التناص الأسطوري في شعر أبي تمام "قصيدة فتح عمورية" أنموذجاً

***د. فاديا محمد سليمان**

(تاريخ الإيداع ٤/٥ /٢٠٢٥. قُبِل للنشر في ٢٨/٧ /٢٠٢٥)

□ ملخّص □

إنَّ دراسة الأسطورة ترشدنا لفهم العمليات العقلية اللاشعورية التي تواجه الفكر الإنساني، ومن ثم توجّه الإنسان في مرحلة زمنية معينة إلى استقراء التراث القديم للانطلاق منه بعد استيعابه نحو الحاضر والمستقبل، وفيما يتعلق بالمرجعية الأسطورية لشعر أبي تمام فهي تعكس مرحلةً عقليةً وفكريّةً مرَّ بها المجتمع العربي آنذاك، وهي تندمج في بنية المجتمع الثقافية فتغدو عنصراً من عناصرها ثم يأتي دور الشاعر فيوظفها حسب مقصدية خاصة تتناسب ورؤية الشاعر للحياة وللوجود.

يدرس البحث بلاغة التناص الأسطوري عند أبي تمام قارئاً الشواهد الشعرية المتضمنة في قصيدة (فتح عمورية)، ويتضمّن البحث تعريفاً بالأسطورة لغةً واصطلاحاً، كما أنه لا يحاور النص في اللحظة الحاضرة فقط؛ بل يقوم برصدِ النص السابق عليه، أي المسقى الأساس لثقافة أبي تمام ومخالفاته وتقاطعاته الأسطورية، وسيقوم بتسليط الضوء على قصيدة "**فتح عمورية**" لما تستحضره من أساطير قديمة استقاها الشاعر من تراثنا العربي ومن ثقافته الثرّة ليوظّفها في نصٍّ جديدٍ ويعيد بعثها وتجديدها.

يقدّم البحث استكشافًا شاملاً لبلاغة الأسطورة في قصيدة فتح عمورية لأبي تمام، محاولاً إبراز خصوصية استعمال أبي تمام للأسطورة.

الكلمات المفتاحية:التناص، الأسطورة، البلاغة، الشعر، النص، المعنى.

*دكتورة مدرّسة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة طرطوس

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٩) العدد (٥) ٢٠٢٥
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (9) No. (5) 2025

The Rhetoric of Mythical Intertextuality in Abu Tammam's Poetry "The Conquest of Amorium" as a Model

***Dr. Fadia Mohamed Suleiman**

(Received 4/5 /2025. 28 /7/2025)

□ABSTRACT□

The study of myth guides us to understand the subconscious mental processes that confront human thought. It then directs people at a certain stage in time to extrapolate from the ancient heritage, drawing on it to move forward, after absorbing it, toward the present and the future. Regarding the mythological reference to Abu Tammam's poetry, it reflects a mental and intellectual phase that Arab society was experiencing at that time. It integrates into the cultural structure of society and becomes one of its elements. Then comes the poet's role in employing it according to a special purpose that is consistent with the poet's vision of life and existence.

The research studies the rhetoric of mythological intertextuality in Abu Tammam's work, reading the poetic evidence included in the poem (The Conquest of Amorium). The research includes a definition of the myth in terms of language and terminology, and it does not only engage with the text in the present moment. Rather, it monitors the text that preceded it, that is, the basic channel of Abu Tammam's culture, its contradictions and mythical intersections. It will shed light on the poem "The Conquest of Amorium" for what it evokes of ancient myths that the poet drew from our Arab heritage and from its rich culture, to employ them in a new text and to revive and renew them.

The research presents a comprehensive exploration of the rhetoric of myth in Abu Tammam's poem "The Conquest of Amorium," attempting to highlight the uniqueness of Abu Tammam's use of myth.

Keywords ,Myth, rhetoric, poetry, text, meaning Intertextuality

*Lecturer at the Faculty of Arts and Humanities at Tartous University

مقدمة:

أدّى التناص الأسطوري دوراً بارزاً في القصيدة العباسية بصورة عامة وفي قصائد أبي تمام بصورة خاصة، وقد ظهر ذلك في غير موضع من تراثه الثقافي الشعري ولاسيّما قصيدة فتح عمورية التي حاكى فيها ماضي أجداده وما تركوه من معتقدات وأساطير، وقد حاول أبو تمام من خلال هذه الأساطير توضيح مقاصده وتقريب أفكاره إلى ذهن المتلقي من خلال أمثلة من تراثه القديم الذي انكبّ عليه بكل ما أتيح له من قدرة، وقد كانت الأسطورة في هذه القصيدة ذات أهمية بالغة، إذ طوّعها الشاعر لخدمة معانيه.

_أهمّيّة البحث:

تكمن أهمية البحث في دراسة تعالق نص أبي تمام بالنصوص القديمة ومحاولة تحليل النص الحالي بعد استقراء مكنوناته وفهم معانيه، ولا يخفى على أحد أن ذكر النصوص القديمة إحياء لها واستعادة لأمجاد القدماء من خلال تسليط الضوء على ثقافاتهم.

_أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز طريقة أبي تمام في تطويع الأسطورة في النص الحالي، وإيضاح أسلوبه في التعامل مع التراث القديم، كما يهدف إلى فك شفرة التناص الأسطوري وتوضيح التعالق بين النص الحالي في قصيدة فتح عمورية والنص التراثي القديم، ويحاول البحث من ضمن أهدافه توضيح أسلوب أبي تمام في قراءة التراث العربي والعالمي ، وطريقة توظيفه في نصه الإبداعي بما يمثله من انعكاس للبيئة العربية في العصر العباسي، الذي اعتبره العلماء عصر الانفتاح العربي والازدهار الشعري.

_الدّراسات السّابقة:

لم يقع البحث على دراسةٍ مشابهة له في موضوعه، بالرغم من شهرة أبي تمام الواسعة وكثرة الدراسات التي عنيت بالبحث والتنقيب في آثاره الأدبية، إلّا أننا لم نجد سوى دراسة واحدة مشابهة له وهي (المؤثرات الثقافية في قصيدة "فتح عمورية" لأبي تمام) إعداد: سعد الدين زهية، نجعوم يوسف، وقد نُشرت في جامعة أم البواقي.

ولكنها تختلف عن دراستنا في أنها تدرس كل المؤثرات الاجتماعية والدينية والتراثية التي أثّرت في قصيدة أبي تمام (فتح عمورية)، أمّا دراستنا فقد اهتمّت بالتناص الأسطوري على وجه الخصوص في القصيدة ذاتها.

وأمّا المنهج فقد اتخذت هذه الدراسة السابقة المنهج الاجتماعي التحليلي في دراسة المعطيات الثقافية وقراءاتها في القصيدة، ولكن بحثنا اعتمد على المنهج الوصفي لأنه يريد أن يصف الظاهرة التناصية للأسطورة في زمان أبي تمام ومكانه آنذاك.

إذاً تتقارب الدراستان من جهة الموضوع لكنهما مختلفتان من جهة التعامل مع النص الإبداعي.

_منهج البحث:

اتبع البحث المنهج الوصفي الذي يقوم على تحديد الظاهرة (التناص الأسطوري في قصيدة فتح عمورية) ودراستها في زمانها ومكانها الظاهرين في النص الشعري.

المناقشة:

التّناص لغةً: نلمح المعنى اللغوي لكلمة التناص في معجم لسان العرب من خلال الجذر (نصص) ، فيقول: "النَّصُّ رفْعُك الشيء نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً رفَعَه وكل ما أُظْهِرَ فقد نُصَّ وقال عمرو بن دينار ما رأَيت رجلاً أَنَصَّ للحديث من الزُّهْري أَي أَرْفَعَ له وأَسْنَدَ يقال نَصَّ الحديث إِلى فلان أَي رفَعَه وكذلك نصَصْتُه إِليه ونَصَّت الظبيةُ جِيدَها رفَعَتْه ووُضِعَ على المِنَصَّةِ أَي على غاية الفَضِيحة والشهرة والظهور.

و نتتبع معنى التناص في الشعر الجاهلي من خلال قول امرئ القيس:

وجِيْدٍ كَجِيْدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلاَ بِمُعَطَّلِ" [1]

وهنا نلحظ توافق المعنى الذي جاء في لسان العرب وما جاء به امرؤ القيس في بيته السابق.

التّناص اصطلاحاً: التَّنَاصُّ، أو التعالق النصي (Intertextuality) هو التداخل النصي بين مجموعة من النصوص التي قد تنصهر فيما بينها، لتنتج نصاً جديداً، من خلال الاطلاع على تجربة سابقة مشابهة للعمل الحالي ويتضح ذلك من خلال قرينة تشير إلى النص والتي أسماها (بوجراند) في كتابه "واسطة" ، وقد تحدّث (د.محمد مفتاح) [2] عن التناص بعد أن حلّل مجموعة من التعريفات بقوله "التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة" ، واتخذ هذا التوصيف من أن التّداعي التراكمي والتقابلي آلية من آليات التناص التي تتحكم في كل عملية تناصية.

يعد مفهوم التناص شائعاً لدى الباحثين العرب والغرب بمصطلحات مختلفة، "وقد أولى نقادنا العرب القدماء مفهوم (التّناصّ) أو (التداخل النّصّي)، عنايتهم وعالجوهما، لا بتسميتهما المعاصرة، وإنما بتسميات أخرى من مثل: الموازنة، والمفاضلة، والوساطة، والتضمين، والاقتباس، والاستشهاد، والسرقات، والمعارضات، والنقائض... الخ" .

إنّ أول من تحدّث عن هذا المصطلح (جوليا كريستيفا Julia Kristeva) وقد أفادت من (باختين Bakhtin)، بينما رأى (تودوروف) هذا المصطلح قد يعدّد المعنى، وفضّل اتخاذ مصطلح (Intertextualite) لأنّه أكثر دقة ، كما رأت كريستيفا أن مفهوم التّناص يرتبط بالنص بوصفه مرآةً للمجتمع تعكس ما يجوبه من معتقدات، وأسمته كريستيفا بـ(وحدة أيديولوجية) . [6]

وبهذا نجد أن المعنى المعجمي قد تلاقي مع المعنى الاصطلاحي لكلمة (التناص)، كما نجد أن هذا المصطلح ليس جديداً في المجتمع الثقافي العربي بل هو موجودٌ منذ القدم ، ولكنه حمل تسميات أخرى، مثل السرقات والتضمين وغيرها من التسميات التي كانت تتمحور حول موضوع الدراسة ذاته.

---

[1] لسان العرب، ابن منظور للإمام جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، مراجعة وتدقيق د. يوسف البقاعي، إبراهيم شمس الدين، نضال علي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط١، ٢٠٠٥، مادة (نصص).

[2] النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ص١٠٤.

[3] تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء –بيروت، ط٣، ١٩٩٢م، ص١٢١.

[4] النص الغائب (تجلّيات التّناصّ في الشعر العربي)، محمد عزام، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ٢٠٠١م.ص ١٢.

[5] ينظر: نظرية الأجناس الأدبية دراسات في التناص والكتابة والنقد، تزفيطان تودوروف، ترجمة: عبد الرحمن بو علي، دار نينوى، دمشق، ط١، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م، ص٨٥.

[6] ينظر: النص الغائب ص٢٣.

ومن هنا نخلص إلى تعريف التناص على أنه نقاط التلاقي والتشابه بين النص الحالي والنص القديم، وهذا التناص قد يصدر عن الذات الإبداعية بقصد أو من دون قصد، وهو موجود بالضرورة في أي عمل أدبي إبداعي، لأن المبدع ابن بيئته وثقافته بالضرورة.

- **مفهوم الأسطورة:**

لغةً: إنّ المعنى المعجمي لأي لفظ في العربية هو المرجعية الأولى لهذا الخطاب اللغوي، ولو عدنا إلى معاجم اللغة المعروفة وبحثنا عن مصدر كلمة(أسطورة) سنجده في مادة (س، ط، ر) على أنه "السَّطْرُ والسَّطَرُ الصَّفُّ من الكتاب والشجر والنخل ونحوها، والجمعُ من كل ذلك أَسْطُرٌ وأَسْطارٌ وأَساطِيرُ، وفي قوله تعالى:" وقالوا أَساطير الأَوّلين" (سورة الفرقان ٥) أي الذي جاء به أَساطير الأَولين معناه سَطَّرَهُ الأَوّلون، وواحدُ الأَساطير أُسْطُورَةٌ كما قالوا أُحْدُوثَةٌ وأَحاديث وسَطَرَ" .[١]

ونجده لدى (الزبيدي) موافقاً لتعريف (ابن منظور) السابق "س ط ر: السَّطْرُ الصف من الشيء يقال بنى سطراً وغرس سطراً و السَّطْرُ أيضاً الخط والكتابة وهو في الأصل مصدر والجمع أسْطارٌ كسبب وأسباب وجمع الجمع أَسَاطِيرُ وجمع السطر أسْطُرٌ و سُطُورٌ كأفلس وفلوس و الأَسَاطِيرُ الأباطيل الواحد أُسْطُورَةٌ بالضم و إسْطَارَةٌ بالكسر" .

الأسطورة اصطلاحاً:

هي حكاية خياليّة غريبة خارقة ظهرت في العصور الموغلة في القدم، وتناقلتها الذاكرة البشرية عبر الأجيال، وكان القصد من هذه الحكايات تفسير الظواهر الطبيعية أو العقائد الدينية أو الأحداث التاريخية الموغلة في التاريخ القديم ترتبط بالقبائل القديمة التي عاشت في مختلف أنحاء العالم، ويقومون بصياغة هذه القصص غير الحقيقية لمجموعة من الأسباب الخاصة بهم، ويتم تناقل الأساطير بين الأجيال المختلفة، حتى يتم إثبات أنها غير حقيقية، وتعرف الأسطورة أيضاً بأنها مجموعة من الأشياء غير الواقعية، والتي تصف أحداثاً، وأشخاصاً، وأماكن غير موجودة من أجل الوصول إلى تحقيق الهدف الرئيس للأسطورة، والمحافظة على انتشارها، وتصديقها من قبل الناس .

لقد وافق المعنى اللغوي لكلمة (أسطورة) المعنى الاصطلاحي بما يقدمه من دلالة على الحكايات الخرافية التي قال بها الإنسان البدائي القديم بغية تفسير ظواهر طبيعية أو تاريخية لم يستطع تفكيره البسيط من تحليها وفهمها، فلجأ إلى الماورائيات والخرافات .

يحاول هذا البحث الوقوف على أبرز الأساطير الموجودة في القصيدة، ولعلّ أهمها :

أسطورة السيف :

يلفتنا توظيف أبي تمام للأسطورة؛ إذ افترشت مساحة هذه القصيدة وتموضعت في غير بيت، مغنيةً المعنى، مقرّبةً إيّاه من ذهن القارئ، باثّةً فيه شيئاً من غموض العصور القديمة.

يقول أبو تمام:

"السيف أصدق أنباءً من الكتب في حدّه الحدُّ بين الجد واللعب

---

[١] لسان العرب مادة (سطر).

[٢] مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله الرازي، تحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية –الدار النموذجية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. مادة (سطر).

[٣] ينظر: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ط١، د.ت، ص٢٤.

بيضُ الصفائح لا سود الصحائف في متونهنَّ جلاء الشكّ والريبِ" [1]

ترجعنا أسطورة (السيف) إلى ماضي العرب وأيامهم قبل الإسلام وتغنّيهم منذ الجاهلية بسيوفهم البتّارة التي كانت من أهم مظاهر الفروسية، وأهم مصادر العيش والبقاء والتغلّب على سطوة الأخطار التي تترصّد الإنسان، وقبل أن نكمل حديثنا عن أسطورة السيف وما نظنُّ أنّ أبا تمام قد رمى إليه، حسبنا أن نوضّح مذهب أبي تمام الذي قد أغفلته الكثير من المصادر ولا نستوضح هذا عبثاً؛ لكن لكي نكون على بيّنةٍ وطريق قويم يعلّل كل فكرةٍ نطرحها.

نعلم أنّ أبا تمام شاعرٌ عباسي إلّا أننا نلمح ولاءه لآل البيت وللإمام علي كرم الله وجهه في رائيّته التي أوضحَ فيها أنَّ الخلافة من حقِّهم ولا تجوز لغيرهم، وإن كانت فهي باطلةٌ غير باقية، يقول:

"فعلتم بأبناء النبي ورهطه أفاعيل أدناها الخيانة والغدر

وشد به أزر النبي محمد كما شد من موسى بهارونه الأزر

هو السيف سيف الله في كل مشهد وسيف الرسول لا ددان ولا دثر" [2]

مما تقدّم نلحظ ولاء أبي تمام لآل البيت واستنكار استبعاد الإمام –علي كرّم الله وجهه– من الخلافة بعد الرسول، خاصةً وأنَّ الرسول(ص) قد ولّاه خليفة بعده في يوم الغدير، ومن هنا وبعد ما تقدّم لا نستبعد أن يكون السيف الذي تحدّث عنه أبو تمام هو (ذو الفقار)؛ إذ يصوّر سيفاً غير عاديّ سيفاً مخالفاً لكل السيوف، فهو أصدق أنباءً من الكتب، إذ يفصلُ بين الحقّ والباطل وهذا ما يجعلنا نعتقد غير جازمين أنّه قصدَ (ذو الفقار)، ويستحضرنا هنا ما رويَ عن هذا السيف في المأثور أنه لا يشابه الأسياف، فمنزلة (ذو الفقار) لنبينا (ص) كمنزلة العصا لنبينا موسى (عليه السّلام) ، كما ورد ذكره في (المخصص)[3] أن سيفاً يُقال له (ذو الفقار) كان لرسول الله (ص)، حصل عليه من غنائم معركة بدر، وأنّ الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه إذا خرج إلى أعدائه بسيف ذي الفقار أحسّوا بالخطر فتراجعوا، وقد قيل على ضرباته أنّه إذا اعتلى فيه قدّ، وإذا اعترض قَطّ، والقدّ قطع الشيء طولاً، والقط قطعه عرضاً .

وقد كان التوظيف الأسطوري لهذا الرمز في القصيدة بطريقةٍ خفية ينمُّ عن تأثّر الشاعر بأساطير القدماء وإعادة إحيائها من خلال إيرادها في تموضعات جديدة تشي بإبداع أبي تمام وقدرته على التجديد الخلّاق من خلال الأسطورة وبناء صرحٍ شعري قديمٍ حديث لا يقطنه غيره ولا يفكُّ شيفرته سواه.

–أسطورة الشهب السبعة:

وفي تتمة قصيدة فتح عمورية يقول:

"والعِلْمُ في شهب الأرماح لامعةً بين الخميسين لا في السبعة الشهبِ" [5]

يلجّ الشاعر من خلال أبياته إلى جوهر الحقيقة مقدّماً إيّاها بدثارٍ إبداعي جليٍّ يكشف عن زيف الخرافات والادعاءات التي استجلبها المشعوذون وذلك من خلال نقض (أسطورة الشهب السبعة) والتي تعني الثريا أو الشقيقات السبع وهي عنقود نجمي مفتوح يتكوّن من نجوم فتيّة زرقاء ساخنة، وكان قدماء العرب يتبرّكون به، وينسحرون

---

[1] ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، ١٩٦٤م، ٤٦/١.

[2] ديوان أبي تمام ١٤٣/١.

[3] ينظر: السيف العربي و مكانته في أدبنا، حسن محمود موسى النميري، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ط١،، ٢٠٠٢م، ص١٥٥.

[4] ينظر: المخصص ، ابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م، ٢/ ٢١.

[5] ديوان أبي تمام ٧٠/١.

بوضوحه وروعته ، في حين أن الإغريق تصوّروا[١] نجومه كأنها سبع أخوات ونسجوا حولها بعض الأساطير، فيحوي العنقود كثيراً من النجوم، وغالباً ما يمكن رؤيتها بالعين المجردة في السماء، وقد سمّي هذا التجمّع النجمي تيمناً باسم بنات أطلس السبع في الميثولوجيا الإغريقية، اللاتي حوّلتهن الآلهة إلى نجوم .[٢]

وبما أن تجمع الثريا قريب من مسار الشمس، فقد كان جرماً موسمياً في كلا النصفين الجنوبي والشمالي للكرة الأرضية، فيَظهر في الخريف والربيع، وبالنسبة إلى القدماء فقد كان شروق الثريا في الربيع في النصف الشمالي من الكرة الأرضية يَعني بداية موسم الأعمال البحرية في حين أن غروبها في الخريف كان يعني نهايته، وبما أن الثريا قريبة من مسار الشمس فكثيراً ما تُحتجب خلف القمر والكواكب، وقد كان القدماء يعتبرون هذه أحداثاً عظيمة واستثنائية .[٣]

وما يعنينا هنا استعمال أبي تمام لهذه الأسطورة التي تمثّلها المشعوذون ممّن حاولوا ثنيَ المعتصم عن حملته وفتحه لعمورية و تنبَّؤوا بفشله؛ إذ ردَّ عليهم أبو تمام مبيّناً كذب مزاعمهم وافتراءها لأنها تقوم على الخرافات والتوهّمات، ولن يتوضّح المعنى إلّا حين نربط حديثنا السابق ببيتٍ أخر في القصيدة نفسها:

"تسعونَ ألفاً كآسادِ الشّرى نَضجتْ أعمارهُمْ قبلَ نُضجِ التينِ والعنب"[٤]

فقيل إنما يفتح مدينتنا أولاد الزنا، فإن أقام هؤلاء إلى زمان التين والعنب لم يفلت منهم أحد، فبلغَ المعتصم قولهم فقال: أرجو أن يكفيني الله أمرهم قبل نضج التين والعنب، وقد بيّنَ هذا في قوله " السيف أصدق أنباءً من الكتب " ويقال إن بعض من كان بعمورية من الرهبان قال إنّا نجد في كتبنا أنه لا يفتح هذه البلدة إلا ملكٌ يغرس في ظاهرها شجر التين والكرم ويقيم حتى يُثمرا فأمر المعتصم بأن يُغرس التين والكرم، فكان الفتح قبل ذلك فاستعار النضج للأعمار لما قابله بنضج التين والعنب.[٥]

وكما نعلم أنّ التين والعنب من الثمار التي تحتاج إلى الحرِّ والدفء كي تنبت مما يتنافى مع جو (عمورية) أثناء حملة المعتصم، ومن هنا فقد ربط المنجّمون ظهور الشُّهب السبعة بنضج التين والعنب، إلى أن جاء أبو تمام ونقضَ هذه الأساطير الباطلة موضحاً بُعدها عن كلِّ عقل سليم، جاعلاً لغة السيف هي الأصدق والأنبى.

-أسطورة أسد الشرى:

قال أبو تمام :

"تسعونَ ألفاً كآسادِ الشّرى نَضجتْ أعمارهُمْ قبلَ نُضجِ التينِ والعنب"[٦]

---

[١] ينظر: كتاب صور الكواكب الثمانية والأربعين، لعبد الرحمن الصوفي، تحقيق "لجنة إحياء التراث العربي"، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨١م، ص٧٥.

[٢] ينظر: كتاب الكون، تأليف كولين رونان، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠م، ص١٠٠.

[٣] ينظر: القاموس الفلكي والأبراج وصور النجوم أو كوكباتها وأسماؤها العربية، منصور حنا جرداق، المطبعة الأميركانية، لبنان، ١٩٥٠م، ص١٣٢.

[٤] ديوان أبي تمام ٦٩/١.

[٥] ينظر: المصدر السابق ٣٨/١ (الحاشية).

[٦] ديوان أبي تمام ٦٩/١.

ولابدَّ لنا من توضيح أسطورة (أسد الشرى)، ونبدأ بفهم كلمة (الشَّرى): وهي تدل على موضعٍ تُنْسب إليه الأُسْدُ، يقال للشُّجْعانِ: ما هُمْ إلا أُسودُ الشَّرى؛ قال بعضهم: شَرى موضع بِعَيْنِهِ تأْوِي إليه الأُسْدُ، وقيل: هو شَرى الفُراتِ وناحِيَتهُ ، إذاً تدلّنا هذه الأسطورة على الهلاك المطبق على من يدخل هذا الموضع ومن هنا استعار الشاعر هذا التركيب ليؤكّد أهمية نضج الأسود والقادة المحاربين فبهم يكون النصر لا بنضج العنب والتين، فالمعتصم لم يؤخر المعركة وأقرّها في أوانها، وهكذا بدا شاعرنا مستنكراً مستهزئاً بتلك العقول التي تصدّق الأكاذيب والأوهام الساذجة .

-أسطورة النور والنار:

قال أبو تمام:

"ضوءٌ من النار والظلماءِ عاكفةٌ وظلمةٌ من دخانٍ في ضحىً شحبِ

فالشمس طالعةٌ من ذا وقد أفلت والشمسُ واجبةٌ من ذا ولم تجبِ" [٢]

لقد سطّرَ أبو تمام إحدى عناصر التكوين (النار) وما يندرجُ في إطارها من أساطير أخرى (الشمس/ النور)، مشكّلاً ثنائيّة (النور والنار) التي تحيلنا إلى حكايات وأساطير الشعوب القديمة؛ إذ لم يحظَ عنصر من عناصر الكون بالأهمية القصوى والبحث والتنقيب مثلما حظي بها عنصر (النار) ولم يدخل أي عنصر من تلك العناصر في الثقافات الاجتماعية والدينية والفلسفية والأساطير والخرافات مثلما كانت النار قديماً وحديثاً تحظى، فمثّلت آفاقاً واسعة للإنسان الذي كان دائماً مشدوداً للخارق من تلك الظواهر؛ عبر الدين أولاً و عبر الفلسفة ثانياً، وبين هذا وذاك نشأت الخرافات والأساطير بين الشعوب، فاستولدت ثقافاتها الخاصة بها التي ظل بعضها باقياً إلى اليوم، بينما توارى البعض الآخر خلف قرون التاريخ الماضية وبقي وثيقةً من وثائق الشعوب.

انشغلت الحضارات القديمة بموضوع (النار) وتفريعاتها المختلفة التي تركتها في الأثر الإنساني العام؛ فالفرس والإغريق والرومان والصينيون وفيما بعد العرب، كانوا في فاتحة مَن أدخل النار في معتقداتهم الدينية والفلسفية؛ فالشعوب القديمة كانت ترى في النار فضيلة تصدرها الآلهة لهم لذلك فهي مقدسة، عندها نعرف لماذا تكوّنت عبادة النار وعبادة الشمس، خاصةً إذا علمنا أن الإنسان القديم كان يجد صعوبة في توليد النار لتبقى مصدر إشعاع دائم؛ حرارةً وضوءاً . [٣]

وكان ثمة اعتقاد سائد بأن من يعلم قوة النار يملك الحكم والسلطة؛ والزرادشتيون يوقرون النار، فالنار مقدسة لديهم، ويحرصون على أن تبقى مشتعلة في معبد (لالش) ولاسيما يوم الأربعاء، وفي الهندوسية، النار هي عنصر من العناصر المقدسة . [٤]

فتعدُّ النار في العرف العربي القديم إحدى أشكال تجليات الله، كما نجد في الديانة الأيزيدية وهي من الديانات الشمسانية التي انتشرت في بلاد الرافدين وسوريا وآسيا الصغرى والأناضول، حيث انتشرت معابد الشمس ، وهي سوريا (موطن أبي تمام).

بينما تحكي الأسطورة الرومانية عن كاهنات الآلهة (فستا) المكلفات بالحفاظ على بقاء النار المقدسة مشتعلة بحسب الأساطير، فكان الموقد مركز الحياة العائلية في روما القديمة، وكانت (فستا) تقوم مقام النار وفي الأصل كانت إلهة المدفئة عندهم وكان جميع الرومانيين يحتفظون بموضع مقدس في منازلهم تبجّل فيه فستا وربَّات تدبير المنزل

---

[١] ينظر: لسان العرب، ج٨، مادة (شري).

[٢] ديوان أبي تمام ٧١/١.

[٣] ينظر: معجم الأساطير، ماكس شابيرو و رودا هندريس، ترجمة: حنا عبود، دار علاء الدين، سوريا، ط٣، ٢٠٠٨م، ١/ ١٢٧.

[٤] ينظر: المصدر السابق ١/ ١٢٨.

[٥] ينظر: أشهر الأساطير في التاريخ، مجدي كامل، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة، ٢٠١٤م، ص٧٦.

المعروفة باسم الآلهة الحارسة للمنزل، و(فستا) هي ابنة إله الخصوبة والزرع، وأوبس ربة الخصوبة والحصاد، وأخت جوبيتر رب الأرباب .[١]

إذاً شكلت مجازات النار واستعاراتها من هذا الفيض الأسطوري الخرافي الثقافي، فأنتجت ثقافةً على مرّ الأزمان، وشكلت تحدياً كبيراً للإنسان وهو يتقدم إلى الحياة بفضائل بصيرته واستكشافاته وتجاربه، لهذا بقيت النار مصدراً ملهماً للمبدعين، وقد احتلت النار في التقاليد الشعرية العربية القديمة موقعاً متميزاً، إذ كان الشاعر يتحدث عن الرماد والنار الخامدة ونار العشق ونار الفراق وما إلى ذلك من مجازات .. نارية !

فالنار كما يقول علماء النفس تتحكم بالصفات الأخلاقية للإنسان فالذهن الحاد ينتج عن الطبع الحار، فالعناصر الأربعة في الطبيعة (النار والماء والهواء والتراب) يغلب بعضها على بعض في داخل الإنسان وتطبّعه بطابعها.[٢]

إنَّ أبا تمام يفتح الباب الأسطوري على مصراعيه مستحضراً نصاً غائباً ومتوارياً عن الأذهان، واضعاً إياه في سياقاتٍ نصيّة غير مألوفة، مستعملاً الانزياح الدلالي في كثيرٍ من الأحيان بما يخدم غرضه الشعري، وقد حشدَ لمقاصده ومعانيه ما يلزم من طباقٍ(ظلمة/ضوء) (طالعة/أفلت) (واجبة/لم تجب)، و تكرار (الظلماء، ظلمة) (الشمس، الشمس)، مستحضراً الشيء ونقيضه ومن ثمَّ مساوقاً بين تكرار الأضداد.

-أسطورة قشعم:

يقول مادحاً أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري:

"فرأوا قشعم السياسة قد تثقّـ ـف من جنده القنا والقلوبا"[٣]

تكمن الأسطورة في كلمة (قشعم)؛ إذ إنّ المعنى الظاهر والقريب هو أنَّ الممدوح شيخ السياسة وصاحب ماضٍ عريقٍ فيها، إلّا أننا إذا أنعمنا النظر في حقيقة هذه الكلمة، واستجلبنا معناها الدقيق وجدنا مصدر الأسطورة المتواري، ولنتمكّن من ذلك لابدَّ لنا من استقراء هذه اللفظة في الشعر الجاهلي، ولكن قبل ذلك علينا توضيحها.

(أم قشعم) وهي أنثى النسر وتعني الحرب فهي (المولدة للموت)، وكلما امتدَّ بها الزمن و أسنّت زاد فعل موتها و دمارها، أما (القشعم) فهو النسر الذكر ويمثّل الموت، أو به تكنّت .[٤]

ونجد هذه الأسطورة في غير موضع من الشعر الجاهلي، من مثل قول عنترة:

"تُقلِبُه وحش الفلا وتنوشه من الجو أسرابُ النسور القشاعم"[٥]

وقول امرئ القيس:[٦]

"وَهَمّامَ بنَ مُرَّةَ قَد تَرَكنا عَلَيهِ القُشعُمانِ مِنَ النُسورِ"[٧]

نلحظ تطابق أسطورة نسر القشعم في الأسطورة والشعر الجاهلي و شعر أبي تمام، ما يحيلنا إلى أن أبا تمام متحَ ملامح شعره الأسطورية من تراث الشعر العربي، وهنا لسنا بصدد مناقشة ما إن كان هذا النسر موجود فعلاً في

---

[١] ينظر: المصدر السابق ص٩٨.

[٢] ينظر: رسائل إخوان الصفاء و خلان الوفاء، إخوان الصفا، مراجعة خير الدين الزركلي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٨م، ١/ ٢٠.

[٣] شرح ديوان أبي تمام ٩٥/١.

[٤] معجم الأساطير ١/ ٩٤.

[٥] ديوان عنترة، تحقيق: د.عمر فاروق الطباع، لبنان، بيروت، دار القلم، ط١، ص١٦٣.

[٦] ديوان أبي تمام ٤٠/١.

[٧] ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٩م، ص٢٣٠.

زمن أبي تمام أم أنه استجلبه فقط لإغناء شعره، مجدِّداً مقدّماً هذا التراث بقالب جديد أضفى على المعنى شيئاً من الغرابة المشوقة لمعرفة كينونة هذا الطائر وأبعاده الأسطورية.

-أسطورة لبد:

ومن النصوص التي تجلت فيها الأسطورة، قول أبي تمام في ممدوحه:

"إن تَنْفَلِتْ وأُنوفُ المَوْتِ رَاغِمَةٌ فاذْهَبْ فأنتَ طَلِيقُ الرَكْضِ يَا لُبَد" [1]

يشبّه أبو تمام ممدوحه بـ(لبد) وهو آخر نسور (لقمان) وأطولها عمراً، وكان لقمان كلما رأى واحداً منها عاش بعده مئة سنة وكان هذا آخرها (اللُّبد)، لذا أصبح اسمه مدعىً لتشاؤم الناس، ولكن الشاعر حمّله دلالة جديدة، فأزاح رمز الشؤم عنه وصيّره رمزاً للبطولة والقوة، لأن من قابله أو رآه في ساحة المعركة فلن يعيش بعد ذلك اللقاء، وفي شرحنا لأسطورة (لبد) نبتدئ بقصة لقمان والرغبة في البقاء؛ إذ عرف لقمان بن عاد بـ(لقمان الحكيم) وذلك لحكمته وخبرته التي اكتسبها من طول بقائه في الدنيا، فكانت أمنيته الملحّة هي البقاء والخلود، تقول الأسطورة أنه ذات يوم في جبل (قبيس) بمكة، وجد منادياً يناديه بأن النسر موجود أعلى رأس (ثبير) فصعد لقمان، فوجد عش نسر فيه بيضتان قد أفرختا، فاختار إحداهما وعقد في رجله علامة وسماه المصون، عاش المصون مائة عام ولقمان يرعاه حتى دنا أجله ومات، ناداه المنادي: «يا لقمان بن عاد دونك البدل، مأمور بطاعتك كالأول» فصعد وأحضر نسراً آخر وسماه (عوضاً)، عاش عوض مئة عام أخرى حتى مات . [2]

ومن هنا نستنتج أنّ (لبداً) أصبح معادلاً موضوعياً للممدوح في قصيدة أبي تمام، إلّا أنَّ الفارق بينهما أنَّ (لبد) مصدر تشاؤم لكل راءٍ في الأساطير القديمة، أمّا الممدوح لدى أبي تمام فمصدر تشاؤم للخصوم والأعداء في ساحات الوغى فقط، بينما هو مصدر قوة وتفاؤل لمناصريه؛ إذ يُعدّ بمنزلة المخلص للمناصرين.

خاتمة:

قام البحث بمناقشة قصيدة أبي تمام الشعرية (فتح عمورية) التي تتعالق مع أساطير العرب القديمة، محاولاً تقصّي مضامينها، محاولاً استجلاء الضباب عن موروثه الثقافي انطلاقاً من نقطةٍ بادئةٍ تؤكد ضرورة فهم تراثنا القارّ ومجاوزته بغية البحثِ عن روحانية هذا المركب العريق وما أنتجه من أساطير فرضت وجودها على الواقع الأدبي، فوجدنا أنّ أبا تمام قد ذكر أسطورة السيف، وأسطورة الشهب السبعة، كما عرّج على أسطورة أسد الشرى، وأسطورة النور والنار، وتحدّث عن أسطورة قشعم ولبد، فأفضى بحثنا هذا إلى باقةٍ من النتائج من أهمها:

-استعمل أبو تمام الأسطورة في قصيدته بطريقة بلاغية تفضي إلى كثير من الإبداع وسعة الاطلاع والمواءمة بين معطيات الحاضر والماضي.

-لم يكن استعمال أبي تمام للأسطورة استعمالاً تقليدياً، بل جاء بطريقة إبداعية توضح فكره الفذّ وثقافته الموسوعية من خلال استحضار أساطير قديمة ورصد تعالقها مع موضوع القصيدة موظفاً إيّاها بطريقة فنية شعرية .

-بالرغم من اتساع البساط بين أبي تمام والحضارات القديمة إلّا أنه استطاع صوغ ثقافاتهم برداءٍ يناسب وقع العصر الذي عاش فيه.

---

[1] ديوان أبي تمام ٥١/١.

[2] ينظر: التيجان في ملوك حمير، عبد الملك بن هشام، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ط٢، د.ت، ص٨٤.

هذا ما ملكت أيماننا من نتائجَ جنيناها بعدَ بحثٍ حاولنا من خلاله إيضاحَ ما خفيَ من حقيقةِ الأسطورة في قصيدة (فتح عمورية) لأبي تمام.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. *أشهر الأساطير في التاريخ*: مجدي كامل، دار الكتاب العربي، دمشق – القاهرة، ٢٠١٤م.

٢. *تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص):* محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

٣. *التيجان في ملوك حمير*: عبد الملك بن هشام، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، د.ت.

٤. *ديوان أبي تمام*: شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، ١٩٦٤م.

٥. *ديوان امرئ القيس*: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٦. *ديوان عنترة*: تحقيق: د.عمر فاروق الطباع، لبنان، بيروت، دار القلم، ط١، د.ت.

٧. *رسائل إخوان الصفاء و خلان الوفاء*: إخوان الصفا، مراجعة خير الدين الزركلي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٨م.

٨. *السيف العربي و مكانته في أدبنا*: حسن محمود موسى النميري، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.

٩. *القاموس الفلكي والأبراج وصور النجوم أو كوكباتها وأسماؤها العربية:* منصور حنا جرداق، المطبعة الأميركانية، لبنان، ١٩٥٠م.

١٠. *كتاب الكون:* تأليف كولين رونان، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠م

١١. *كتاب صور الكواكب الثمانية والأربعين*: عبد الرحمن الصوفي، تحقيق "لجنة إحياء التراث العربي"، نشر دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

١٢. *لسان العرب*: ابن منظور للإمام جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، مراجعة وتدقيق د. يوسف البقاعي، إبراهيم شمس الدين، نضال علي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

١٣. *مختار الصحاح*: زين الدين أبو عبد الله الرازي، تحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٤. *المخصص : ابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦ م.

١٥. *معجم الأساطير:* ماكس شابيرو و رودا هندريس، ترجمة: حنا عبود، دار علاء الدين، سوريا، ط٣، ٢٠٠٨م.

١٦. *موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة:* المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ط١، د.ت.

١٧. *النص الغائب (تجلّيات التّناصّ في الشعر العربي):* محمد عزام، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ٢٠٠١م.

١٨. *النص والخطاب والإجراء*: روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

١٩. *نظرية الأجناس الأدبية دراسات في التناص والكتابة والنقد:* تزفيطان تودوروف، ترجمة: عبد الرحمن بو علي، دار نينوى، دمشق، ط١، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م.